

معايينة للنخب التكنوقراطية عبر عقلانية
الفعل التسييري وإكراهات
محددات المتصل السوسيواقتصادي
A preview of the technocratic elites
Through the rationality of the action and the
constraints of the determinants of the
socioeconomic common

ربيع شعابنة*
جامعة الجزائر 2
rabie.chaabna@univ-alger2.dz
عتيقة حرايرية
جامعة الجزائر 2
dr.atikaherairia@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/08/16

تاريخ الاستلام: 2021/06/10

ملخص:

إن محاولة استقراء الأطر النازمة لتشكل النخب التكنوقراطية كفيل بتفكيك التعقيدات التي تعيق فهم طبيعتها المركبة أساسا، والتي تعكس بجلاء خصوصيتها المفارقة لباقي النماذج المضارعة لها، ونظرا للرهان العالي المعقود عليها كحامل للحل أو بعضه، سواء على المستوى الحكومي العام أو على الصعيد الخاص، الذي لا يمكن قصره على الجوانب المادية فقط؛ بل لابد من استحضار بعده السوسولوجي المحايث ظاهرا، الملتبس فهما والمتعدد تمثلا وممارسة، وذلك بعرض تاريخانية النخب ومحاولة موضعها سوسولوجيا ثم تجاوز التاريخ والاكتفاء بالواقع المعيش بمحدداته وتمظهراته؛ هدفا إلى تكوين صورة موضوعية عن هذه النخب. وقد خلص الباحثان إلى أن نخبنا التكنوقراطية ذات طبيعة خاصة نظرا إلى السياقات الثقافية التي أوجدتها كما خلاصا إلى محدودية فعل التسيير العقلاني لدى هاته النخب بفعل إكراهات المتصل السوسيواقتصادي الذي تتواجد ضمنه .

كلمات مفتاحية: نخب تكنوقراطية، فعل تسيير عقلائي، محدد، متصل سوسيواقتصادي.

Abstract:

The attempt to extrapolate the frameworks governing the formation of technocratic elites will dismantle the complexities that hinder the understanding of their essentially complex nature, which clearly reflects their paradoxical specificity to the rest of the models that are competing with them, and given the high bet placed on them as the bearer of the solution or some of it, whether at the general government level or On the private level, which cannot be limited to the physical aspects only; And its manifestations, the aim of creating an objective image of these elites.

* المؤلف المرسل

The researchers concluded that our technocratic elites are of a special nature, given the cultural contexts they created, and concluded that the act of rational management of these elites was limited by the compulsions of the socio-economic caller within which they were located.

Keywords: technocratic elite, The act of rational management, a border, a socioeconomic common.

مقدمة :

تجري عملية تشكل النخب بصفة جد معقدة عبر ممارسات اجتماعية غير مرئية للعوام في حين أنها أكثر حقيقة مما تبدو للعيان، فبعض ملامح الصورة النهائية مفاتيح رموزية للدخول إلى تفاصيل التركيبية النخبوية التي هيمن عليها الوصف التقني، هذا الوضع الذي نروم أن نطعمه بأدوات الفهم السوسيولوجي طلبا لنماذج يمكنها الاضطلاع ببعض الحل أو على الأقل اتخاذها لبنة أولى على سبيل الإصلاح، ولو أن يكون المثقف متقفا مقاولا يلعب دور الوسيط بين الأجنبي والمحلي¹، إلا أننا نقتصر هنا على السياق الخاص، وانطلاقا من الرؤية النظامية لميلز الذي قرر أن هناك تنظيمات في المجتمع مرتبة على أساس التدرج الهرمي للمكانة، تقريراً أن النخبة تتشكل انطلاقاً من الذين يشغلون المراكز العليا في هذه المنظمات ويشكلون مادتها الأساسية²، وهي في الحقيقة رؤية لو حاولنا الاعتماد والاستهداء بها لما أسعفتنا في الوصول إلى مقارنة إجرائية صادقة؛ إذ تتمثل وظيفة هذا المقال في دراسة مفهوم النخب التكنوقراطية ضمن المتصل السوسيو اقتصادي بمختلف تمفصلاته من خلال استتطاق الواقع، وذلك بالارتكاز على سؤال مفاده: ما هو وضع النخب التكنوقراطية في سياقنا المحلي؟

سؤال تنبثق منه روافد سؤالية تتمثل في :

- هل نخبنا التكنوقراطية نتاج لفعل تسييري عقلائي فعلا ؟
 - هل تمتلك نخبنا التكنوقراطية دراية كافية ووعيا صادقا بقضايانا السوسيو اقتصادية؟
- ويؤكد هذا المقال على عدم الفصل بين المستويين النظري والإمبريقي، فمتمته الأساسي ومادته الرمادية هي في الحقيقة رجع صدى الميدان، حيث أجريت دراسة قياسية خاصة بالموضوع، توسلا بمروحة من الأدوات السوسيولوجية وفق مرونة وانفتاح واضحين طلبا للتعدد المنهجي، وإن كان المنهج الأساسي المعتمد هو المنهج المونوغرافي، اعتقاداً منا أن هذا المسعى يضمن أكبر قدر من التغطية المعرفية لشتى جوانب الموضوع، لهذا فإن رصد الوضع الحالي للنخب من الأهمية بما كان، كون هذا الموضوع من صميم الدراسات الاجتماعية التي كانت في مراحلها الأولى تشخيصية بحتة، ذلك قبل أن تتبوء دورها الاقتراحي، ولعل من بين مقترحات الحل للوضع الراهن المأزوم مقترح النخب ذات الطبيعة التكنوقراطية المربطة بالمحدد

الاقتصادي الواضح وغير المنفكة عن السياق السوسولوجي الذي يحتاج إلى زيادة إيضاح، وهذا ما سيحاول هذا المقال الاضطلاع ببيانه.

أولاً: المفهوم والمقاربة

1 النخبة:

عموما إن من يقدم على تعريف النخب لا يمكن له معرفيا تجاوز سان سيمون، رايت ميلز وفالفريدو باريتو كمرجعيات معرفية مركزية في هذا الباب، وهو أمر واضح عند مراجعة التنظير العلمي الاجتماعي في النخبة منذ بداياته لدى كل من فيلفريدو باريتو، وجيانيتو موسكا، وروبرت ميشلز³.

وقد قسم باريتو النخب إلى سياسية وغير سياسية⁴، أما السياسية وإن كانت من صميم اهتمامات علم الاجتماع السياسي الذي يقع تحت طائلة تخصصنا الموسع لكنها -أي النخب السياسية- ليست موضوعنا اليوم، نعم ليست موضوعنا بشكلها الطوباوي المجرّد لأن لها شقا تقنيا نعتبره محددًا هامًا في هذا المقال وإن كنا لا نكتفي به استقلالًا واجتزاءً من الصورة العامة المطلوب فحصها كذلك، هذا يحيلنا إلى عرض الوصف الفارق وهو التكنوقراطية.

إذ يعود المدلول اللغوي لهذا المصطلح إلى الأصل الإغريقي الذي يعني حكم أو سلطة الفني وهو الشخص الذي يقوم بمهام فنية محددة بدقة كوظيفة التحليل أو التخطيط أو التصميم أو الوظائف الخدماتية في سلم الهيئات التنظيمية والإدارية داخل المجتمع⁵، إذن: فالمثقف الفني هو المتبوء للحكم القائم على العلم وحده، فالاتجاه التكنوقراطي مصدر صناعي من التكنوقراط⁶.

2 التكنوقراطية:

والتكنوقراطية حركة بدأت عام 1932 في الولايات المتحدة، وقد كان التكنوقراطيون يتكونون من المهندسين والمعماريين والاقتصاديين المشتغلين بالعلوم، أين دعوا إلى قياس الظواهر الاجتماعية ثم استخلاص قوانين يمكن استخدامها للحكم على هذه الظواهر، باعتبار أن اقتصاديات النظام الاجتماعي هي من التعقيد بما كان حيث يمكن ألا يفهمها ويسيطر عليها رجال السياسة إنما يجب أن تخضع إدارة الشؤون الاقتصادية للعلماء والمهندسين، وكانت هذه الدعوة نتيجة طبيعية لتقدم التكنولوجيا⁷.

3 المفهوم الإجرائي للنخب التكنوقراطية:

إن النخب التكنوقراطية المقصودة في هذا البحث هي: تلك الذوات ذات الخلفية المعرفية التقنية والعامة المثينة إضافة إلى الخبرة الفنية المستمدة من الممارسة التسييرية وأداء المهام القيادية التي أكسبتهم مكانة ضمن الجماعة .

4 التوقع السوسيولوجي لمفهوم النخبة:

يندر الحديث عن النخب قبل الاستقلال إلا تلك النخبة التكنوقراطية المرتبطة بالمستعمر بعدها وليدة المعاهد التقنية الغربية، حالة امتدت وصولا إلى مرحلة الاستقلال أين عوملت ولاية باتنة (عاصمة الأوراس) كونها معقل الثورة الأول معاملة تفضيلية - أو بالأحرى تحصيلية، كجزء من التعويض عن التضحيات المبذولة- فمنحت عددا من المركبات الصناعية الكبرى على غرار مصنع النسيج، قارورات الغاز، مصنع الصناعات الجلدية ... وغيرها، مما ألجأ القيمين على القطاع ضرورة إلى التوجه نحو سياسة تكوينية تقنية عن طريق آلية التكوين المحلي المرتبط بالخيار الاجتماعي المختار آنذاك (التوجه الاشتراكي)، وعن طريق الابتعاث إلى بعض الدول ذات الوصف الإيديولوجي المشابه بما يحمل هذا الفعل من خلفيات ثقافية طارئة عن الوضع الراهن، وحين النظر يمكن الوقوف على حقيقة أن الصناعات المستحدثة هي صناعات هزيلة غير عضوية لا تتطلب هامش استثماري ضخم كما هو مروج له، كما أن ليس لها القدرة على خلق فوارق سواء من الناحية المعرفية أو من حيث الرساميل؛ بل هي صناعات خفيفة استحدثت لتؤمن شكليا الخطاب الإيديولوجي للدولة آنذاك.

وعليه فإن القراءة السوسيولوجية لما تم استحدثه على مستوى ولاية باتنة يحيل على حقيقة مفادها ضعف الاستفادة من المشروع التنموي مقارنة ب: عنابة، قسنطينة، سكيكدة ...، فمنطقة الأوراس قد تمت معاقبتها خصوصا بعد محاولة الانقلاب الفاشلة سنة: 1967، لتتوالى بعد ذلك عملية إعادة إنتاج الكوادر التكنوقراطية وكما هو معروف أن هذه العملية جزء من الشكل الذي يتضمن جانبا عملياتيا إجرائيا وآخر عفويا له تشعبات سوسيولوجية عميقة حاولنا رصدتها في هذا العمل.

ثانيا: بين جينياالوجيا النخب وانطولوجيا انتمائها الطبقي

على ندرة الدراسات في هذا المجال إلا أنه عموما يقال إن تشكل النخب يخضع للظروف الزمكانية المحيطة، هذا الطرح البراني لا يصادم التصور الجواني لأنطونيو غرامشي⁸، الذي يرى أن كل فئة اجتماعية مسؤولة عن تشكيل نخبها، فالطبقة العصرية تختار مثقفين عضويين، أما الطبقات السائرة نحو الاضمحلال فيقينا أن ارتباطها بالمتقفين ذوي المسلك التقليدي هو الواقع والملاحظ⁹، أما أصول هذه النخب سنترك جانب اختبارها للمساءلة الميدانية في محاولة للبعد عن التنظير المجرد وربما المتقادم أو المبهم في مثل موضوعنا هذا، ولعل أهم الشواهد التجريبية الجانب العلائقي للجامعة بمحيطها، أين يظهر بجلاء انعكاس فعل التسيير العقلاني المسؤول عن تشكل النخب التكنوقراطية.

ثالثا: الجامعة ومحيطها

من خلال رصد علاقة الجامعة بمحيطها نجد أن أهم مخرجاتها المسهمة في تدوير العملية الاقتصادية هي النخب التكنوقراطية، والأمر بالمناسبة ليس وليد اللحظة إنما له امتدادات بعيدة نسبيا، فبعد أن كان عدد خريجي الجامعة الجزائرية سنة 1954 أقل من ثلاثين مهندسا¹⁰، أما اليوم فإن عدد المهندسين المسجلين سنويا يتجاوز 10000 مهندس سنويا، إذ تسجل الجزائر في الجملة 14 مليون مهندس، حسب التصريح الذي أدلى به رئيس الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين لجريدة الشروق اليومية¹¹، ولاشك أن لولاية باتنة منه النصيب المعتبر، مع التحفظ على المستوى إذ ليس كل تقني أو مهندس يمكن ان نطلق عليه لقب نخبوي، وإن كان التصور السائد أن المستوى في تلك الفترة أحسن من مستوى زماننا الحالي.

فإن كانت مخرجات الجامعة متعلقة بالجانبين الثقافي والاقتصادي، فمن الناحية الثقافية يمكن الإشارة إلى جدلية اللغة واتخاذها مؤشرا للتحليل، نظرا للتفضيل الذي يتمتع به الإطار المتكون باللغة الفرنسية في مجالات الصناعة والإدارة، في حين ينظر إلى الفئة المعربة بأنها حبيسة الإيديولوجيا، ليس لها سوى التوجه نحو قطاع التعليم، القضاء والإعلام الناطق بالعربية¹²، وكما هو باد للعيان فإن التوجهات العامة للجامعة تقنية عموما، تبعا لتوجهات الدولة، في الوقت الذي نرى فيه تصاعد ازدياء التخصصات الأدبية كما يطلق عليها ويلحق بالجامعة معاهد التكوين المهني بالنظر إلى نوعية مخرجاتها التي تفوق في كثير من الأحيان المخرجات الجامعية جودة رجوعا إلى الجدوى الميدانية كما صرح بذلك المهندس المسؤول عن قسم التكوين والتصميم بمصنع قارورات الغاز/باتنة، وهو في الحقيقة رأي يراه جميع أفراد عينة البحث، هذا فيما يخص الآلية الرسمية، أما على المستوى غير الرسمي والمقصود به الاجتماعي

الاعتباطي، فإنه لا يخفى مسيس الحاجة إلى العلوم التقنية خصوصا، والتوجه إلى الاستثمار في نواتجها، استثمار كان له السبب البارز والمباشر في توجيه طاقات المبدعين، فالحاجة هي سبب التشكل، فإن كان هذا التشكل ذو آلية رسمية فإن له كذلك جانبا غير رسمي خاصة في مجتمعاتنا التي تحد من الحريات وتفاضل بين الطبقات من حيث الفرص ويظهر ذلك في تأسيس بيار بورديو لمقولته: إعادة الإنتاج قاصدا بها النظام المدرسي في حين أنها تبدو عبارة اقتصادية بامتياز، وهي عبارة يمكن مقاربتها نسبيا باعتبار السياقات المشابهة، نظرا لشيوع نظام معرفة عقيم (باعتبار الأثر المادي على الواقع) ينحصر في مجرد الاسترجاع، ومن الواضح أن النخب التكنوقراطية عندنا هي عبارة عن تراكم لعديد العوامل التي تندرج في مجموعة من العناوين العامة الممكن إيجازها في: فاعل اجتماعي له رؤية سياسية ليس بالضرورة أن تتطابق مع الرؤية العامة، وهو نتاج منهجية تكوينية خاصة، ليس له مرجعية قياسية بل هو نموذج متفرد، وولؤه في الغالب لفئته¹³، كما وصف أنه فرد مضطرب حيال الكثير من القضايا النفسية والاجتماعية إلى درجة وصفه بالتائه؛ كونه تشكل داخل إطار ثقافتين متناقضتين، إضافة إلى تفكك البنى الاجتماعية التي يفترض أنه ينتمي إليها، إذ يقول الأستاذ عمار بلحسن: "إن المثقف عندنا ليس وليد اختيار ذاتي واعي، أو تملك معين لمصير أو وظيفة فكرية، بقدر ما هو بحث عن مهنة واستغلالها إن المثقف لم يختر أن يكون كذلك في بلادنا"، ويعطي الأستاذ بلحسن إضاءة حول هذا الوضع من منطلق سوسيوثقافي بإرجاع المثقفين المعربين إلى أصول ريفية أقبلت على المدن واستوطنتها لتتحصل على تكوين أكاديمي وشهادات تأهيلية وفق سيرورة جبرية لم يكن له أدنى خيار تجاهها بل على العكس تماما، حيث نجدها مصادمة للتوجهات التنموية للبلاد¹⁴.

هذا الوضع الذي حدا بأغلب النخب عندنا إلى العمل في مجال بعيد تماما عن تخصصها الأصلي، وهو أمر في حقيقته استجابة للوضع السياسي والاجتماعي للبلد الذي انتهج ما يسمى بسياسة ملء الفراغ، فنتج عن ذلك أن قام هؤلاء باصطحاب أسلوب حياتهم المحافظ إلى الحقل الثقافي العام فتلون هذا الأخير بالقيم العشائرية والقبلية التي أنتجتهم ليعيدوا هم بدورهم إنتاج نماذج ترتكز على هذه المعايير، هذه المحددات السوسيوثقافية ارتبطت تاريخيا بوجهة سياسية أحادية القطب، متبنية لنمط اقتصادي اتكالي ريعي عزز ما سبق الإشارة إليه من علاقات عشائرية وقبلية تضاد كل مشروع قائم على الكفاءة والتمكن المعرفي.

رابعاً: المعاينة الميدانية

1 منهجية البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على أسلوب دراسة الحالة (دراسة مونوغرافية)، ونظراً لامتداد الكبير للنخب في هذا المجتمع، فإن عملية الاختيار كانت قصدية، طبعاً مع الأخذ بعين الاعتبار القبول الطوعي والاستعداد للتعاون والمساهمة في البحث، وطلباً لاستقاء معلومات ميدانية عمدنا إلى مروحة من الأدوات، جاء على رأسها استمارة استبيان استهدفت (100 تكنوقراطي) من أصل إطار كلي قدر بـ: 140 مفردة* وقد تم بناء هذه الاستمارات وفق منهجية تغطي حيثيات موضوع الدراسة، كما تم القيام بمقابلات نصف موجهة مع مجموعة أقل من الأولى وإن كانت في الأصل مستلة منها (15 مفردة تكنوقراطية) نظراً لصعوبة هذا الإجراء مقارنة بالأول وذلك عبر مقابلات بؤرية استكشافية واستئناساً ببعض الاقتراحات المحال عليها من خلال استخدام تقنية كرة الثلج، وقد كان الهدف من إجراء هذه المقابلات التعمق في بعض القضايا المرصودة من خلال الاستمارات كنوع من القبض المنهجي لعدم الاكتفاء بالصادر عن الاستمارات، هذا من جانب ومن جانب آخر التحقق من بعض المعارف المراد توطيئها، وقد استطالت مدة بعض المقابلات إلى مستويات قياسية، فاضطررنا إلى إضافة أخرى جديدة ملحقاً بالأولى، هذا فيما يخص بعض المبحوثين دون البعض الآخر، وبعد استيفاء الجهد الإجرائي من توزيع وجمع واستماع وتسجيل، انتقلنا إلى معالجة المعطيات وتحليلها استعانة بالإحصاء الوصفي بشكله المبسط إضافة إلى التحليل الموضوعي (Analyse thématique)، وهو أحد المزايا المتاحة ضمن تقنية تحليل المضمون للوقوف على الموضوعات الرئيسية في خطاب المبحوثين وهو بطبيعة الحال رجع صدى المقابلات المجراة، وقد جرى التحليل استعانة بمتغيرات جوهرية في البحث ك: الجنس، السن، المستوى الأكاديمي، الموقع المهني وطبيعته، مع التصريح ضرورة أن اختيار المفردات المعنية بالاستمارة كان غير عشوائي بل غرضياً على خلاف المقابلات التي كان الاختيار فيها قصدياً، وإن أردنا شيئاً من التفصيل وضحنا أننا وزعنا 100 استمارة تقابل 100 مبحوث على النحو التالي:

مصنع تركيب السيارات هيونداي (سابقاً): 25، مصنع النسيج/باتتة: 20، مصنع قارورات الغاز: 10، مصنع السيراميك Del-ceram: 10، مصنع الآجر/ عطية: 10، مصنع المصافي: 10، مصنع الحليب/باتتة: 15.

وكما هو ملاحظ فإننا آثرنا هذا الضرب من التنوع قصد تحقيق تغطية أكبر، لكن عملية الاسترجاع كانت من الصعوبة بما كان، حيث لم نسترجع سوى 30 استمارة وهو عدد قليل يمثل 33.3% من العدد الإجمالي الموزع، وهي في الحقيقة مسألة متوقعة بالنظر إلى ظروف الجائحة المستجدة Covid19، وكذا قلة الوعي بمثل هذه الجهود البحثية رغم ان المستهدفين بالبحث من النخبة المفروض معرفتها بأدبيات البحث وإجراءاته، مما يدفعنا إلى طرح تساؤلات معرفية يشوبها التخوف حيال مستقبل البحث العلمي وجدواه وحتى قيمة المحصل منه، ورغم كل هذا تم الخلوص إلى النتائج الآتي سردها.

2 السمات العامة:

إن أول ما نشير إليه من حاصل معلوماتي وهو أمر متوقع، غلبة العنصر الذكوري الذي سجل نسبة 90%، في حين سجل العنصر النسوي 10%، وهو أمر شائع في أدبيات علم اجتماع العمل حتى في البيئات الغربية؛ إذ يقول الأستاذ مصطفى بوتفوشة: إن العائلة الجزائرية عائلة إكناتية Agnatique النسب فيها للذكور كما أن الانتماء فيها أبوي¹⁵، هذا وإن لم يكن التباين بنفس الحدة فالأمر يمكن توقعه وتقبله بالنظر إلى طبيعة العمل (تقني)، لكن الأمر هنا يتعلق بوضعيات نخبوية ربما يمكن إرجاعها إلى عامل الترقية في بعض المصالح والذي يتطلب حضورا ميدانيا في أوساط رجالية بحثه وهو وضع تتحرج منه كثير من النسوة ممن يصدق عليهن لقب التكنوقراطيات، إلا أنه لا يمكن تعميم هذا التبرير كون بعض المؤسسات لم يتجاوز عمرها التقني 10 سنوات، مؤشرات تعزز بقوة جانب الأصوات التي تتعت مجتمعا بالذكوري البطريركي Patriarcale، ومنه الدعوة إلى إلغاء الفوارق بين الجنسين على المستوى النخبوي التكنوقراطي.

أما من جهة السن فالمتوصل إليه من معطيات يؤكد على شبابية النخب التكنوقراطية، حيث نجد أن نسبة الذين تقل أعمارهم عن 40 سنة تفوق ثلثي العدد الإجمالي من المبحوثين إذ حددت بـ: 75% وتتأكد هذه النزعة حين نقف على نسبة الذين تجاوز سنهم 50 سنة والتي لم تتعد 04%، وهي خاصية تؤكد على الافتراض القوي المتعلق بالارتباط بين شبابية النخب التكنوقراطية ومستواهم الأكاديمي والتكويني وانفتاحهم على مستجدات عالم التقنية وطرق الإدارة الحديثة.

كما تبرز النتائج أن غالبية المبحوثين 23 حالة من أصل 30 حالة غير متزوجين، مما يؤشر على عدم الاستقرار العائلي والاجتماعي وهو أمر مثير للتساؤل نظرا إلى الوضعية

الاقتصادية المريحة نسبيا في نظر الكثير، وبمناقشة هذا الموضوع في إطار المقابلات النصف موجهة أجمع الكل على أن تأسيس حياة زوجية أضحى غاية دونها بذل سنوات طويلة من الجهد، حيث صرح المتزوجون منهم -على قلتهم- أن زواجهم جاء كمحصلة للتضامن العائلي الموسع وقد أفاد أحد المبحوثين أنه غير قادر على تحمل تبعات مرحلة ما بعد الزواج كونه يشغل منزلا إيجاره يربو عن ثلث راتبه، تصريح نستأنس به ولا نقطع به.

أما فيما يخص المستوى الأكاديمي، فقد أظهرت النتائج أمرا معتادا وهو أن أغلب الإطارات ذوي مستوى جامعي عالي 22 (ماستر 02) 06 (مهندسين) 01 (شهادة الدراسات التطبيقية) في حين ان الحالة المتبقية تحوز على شهادة تقني سامي ممنوحة من معهد وطني متخصص في التكوين المهني ذو سمعة جيدة في الأوساط العلمية، وبهذا تشير المعطيات أن 100% من النخب التكنوقراطية المستجوبة هي نتاج تكوين محلي (خريجي مؤسسات وطنية)، مع أنهم تلقوا دورات تدريبية مكثفة على أيدي أجنبية، فرص وفرتها مؤسساتهم في إطار التطوير والتكوين المستمرين.

خامسا: جينياالوجيا النخب التكنوقراطية

تأكيدا لخصوصية المجتمع الجزائري كما نص على ذلك عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو بمعية الأستاذ عبد المالك صياد في كتابهما المشترك "سوسيولوجيا الجزائر"، وخلافا لنتائج الدراسة الكلاسيكية لرايت ميلز حول النخبة في الولايات المتحدة الأمريكية التي توجهها بكتابه الشهير (The power elite).

واعتمادا على أطروحة بيار بورديو التي قطع فيها بما لا يدع مجالا للشك بالتأثير الجازم للأصل الاجتماعي على تكوين النخبة التي تمتلك رأسمال عيني وثقافي، شيفرات تعارف ونفس الطموح، رؤية تستند على الإيمان بنوع من التضامن شبه الآلي الذي هو أقرب مايكون من العضوي¹⁶، نجد أن جل المبحوثين ذوي أصول اجتماعية جد متواضعة، واستعانة بمعيار مهنة الأب كعامل مساعد على معرفة الأصل الاجتماعي وجدنا أن 73.33% ينحدرون من أسر عمالية، تليها نسبة 13.33% من أصحاب المهن الحرة (تجار) و 10% حرفيون (أصحاب مهن يدوية)، لتبقى نسبة 3.33% من النخب التكنوقراطية (إطارات دولة) ذوي مراتب قيادية عالية، واللافت

أيضا للنظر أن 96.66% أكدوا أن أمهاتهم من الماكثات بالبيت؛ إذ وبالرغم من مستوياتهن المتواضعة إلا أنهن تولين مهمة إعادة الإنتاج الاجتماعي في أسرهن¹⁷. واستنادا إلى ما تم إيرادها فيما يخص البنية الاجتماعية نخلص إلى الطبيعة التقليدية لغالب النخب مما يؤكد السمة المحافظة للمنطقة وهو وصف لا يتنافى مع المستوى الأكاديمي المرموق للمبحوثين، مع أن النتائج تحيل إلى المستوى التعليمي المتواضع للوالدين إلا ما شذ خاصة فيما يتعلق بالأمهات، وقد اعتمدنا معيارا اختباريا آخر وهو الأصل الحضري، فوجدنا أن 93.33% ينحدرون من أصول اجتماعية ريفية أغلبهم نزح إلى المدينة خلال فترة الأزمة الأمنية التي عصفت بالبلاد فترة التسعينات، وبالنسبة لامتداد الأجيال في الفضاء الاجتماعي، فهي مسألة تتغير حسب طبيعة كل حقل وطبقة اجتماعية، لأن "التحولات التي تصيب نمط إعادة الإنتاج ليس لها نفس التأثيرات على مختلف مناطق الفضاء الاجتماعي، وهذا ما يتطلب تحديد الآثار المتميزة اجتماعيا لنمط إعادة الإنتاج عن طريق رسم خريطة للفضاء الاجتماعي" تقريراً لما جاء في تحليلات كارل مانهايم أن الأجيال الاجتماعية تظهر في تلك الفترات التي تعرف تحولات أو قطيعة مع نمط إعادة الإنتاج السائد، ويحدث ذلك عادة بسبب وقوع أحداث أساسية تُغيّر من أطر ومحتويات التنشئة الاجتماعية القائمة، كما أنها تظهر بالتحديد عند الأفراد الذين يعيشونها خلال مرحلة شبابهم التي تمتد من 17 إلى 25 سنة، حيث يكون الفرد خلال هذه المرحلة العمرية أكثر انفتاحاً على التغير والتقلب في وعيه الباطن، وهو ما يؤهله لبلورة مواقف وتوجهات وسلوكيات قد تمتد معه طوال حياته¹⁸.

سادسا: أسلوب المعيشة

بداية لابد من بيان أن أسلوب المعيشة له ارتباط بإدراك الذات من حيث الخصائص الثقافية التي من شأنها تغيير نمط العيش والتفكير، كما أن أسلوب المعيشة يبنى على مجموعة من المحددات الاجتماعية والاقتصادية التي تضيف على الحياة سمة خاصة تنعكس على سلوكيات الأشخاص، وفي بنية علاقاتهم الاجتماعية عموما وعلاقاتهم المهنية خصوصا، وطلبا لأخذ صورة عن ذلك حاولنا معاينة مؤشرات نراها هامة في هذا الصدد وهي: مستوى الدخل، نوعية السكن، طريقة التنقل للعمل، بعض الممارسات السوسيوثقافية.

وعليه فقد أبرزت نتائج هذا العمل تصورا بعيدا نوعا ما عما هو متخيل لدى العامة وربما حتى لدى المشتغلين بالبحوث الأكاديمية، إذ توصلنا إلى أن 90% من المستجوبين لا يحوزون سكنا خاصا بل يستأجرون سكنا أو ينتفعون من السكن العائلي المشترك مع عائلات الإخوة والوالدين، في حين أن نسبة عالية من هؤلاء نسبة مقدرة بـ: 74% يمتلكون سيارات رغم تقاضيهن لأجور

تتراوح بين 40000 و 65000 دج، وحين التقصي في هذه المفارقة تبين ان أغلب المبحوثين قد لجؤا إلى مختلف صيغ التقسيط المتاحة على مستوى شبائيك البنوك وعند مناقشة القضية من منظور ثقافي وديني فيما يخص الفوائد الربوية وجدنا أن لديهم دراية بالموضوع إلا أنهم يبررون الأمر بالاضطرار، كما وجدنا أنهم يقومون بإجراء مقارنات مع غيرهم وأنهم خضعوا لضغوط الأسرة (خاصة الأمهات والزوجات)، هذا في ظل انعدام فرص الادخار نظرا لغلاء المعيشة مما يحد قطعا من آفاقهم، وهذا حتما له تأثير على أنماط سلوكهم مما حدا بأحدهم إلى القول بلسان دارج: (السرايين لباس بيه)، ليعقب آخر عن الموضوع بأنه لمز لأحد المستثمرين المعروفين بالمنطقة كان في السابق زميلا لهم بالعمل ليركب موجه الاستثمار المشبوه مستغلا علاقاته في المؤسسة فتغير حاله إلى ما نراه اليوم، هذه الظروف جعلت من هؤلاء المبحوثين ذوات منطوية على نفسها مستغنية عن الأشخاص الحقيقيين بأشخاص افتراضيين يبوحدون لهم بهمومهم ويشاطرونهم إياها، فالملاحظ أنه ورغم ساعات عملهم الطويلة (08 ساعات وأحيانا أكثر) ومهامهم الدقيقة، إلا أنهم متصلون بالنت على مدار الساعة، لا يجدون حرجا البتة في مراجعة المنشورات بل التفاعل معها وحتى الرد على المحادثات المطولة غير الهادفة -بحكم أن لا علاقة لها بموضوع العمل-، هذا ما يجعلنا نتوقف طويلا عند تسميتهم "بالنخب" لما في هذا الوصف من مجازفة علمية وعدم دقة.

سابعا: الهوية الاجتماعية للنخب التكنوقراطية:

يمكننا الوقوف على بعض جوانب الهوية الاجتماعية للنخب التكنوقراطية بالنظر إلى تمثلات هذه النخب لعدد من مناشط الحراك المجتمعي (المدني)، تمثلات تؤثر على ضعف المشاركة في الحياة الثقافية والاجتماعية مع تسجيل بعض الاهتمام بالقضايا السياسية المحلية خاصة ما تعلق بموضوع الحراك الشعبي وما عقبه من أحداث، وضعية تدل على وجود هوة عميقة بين المجتمع وما يفترض أنها نخب تحمل قضاياها، أما فيما يخص الجمعيات الخيرية فلا نجد ضمن المجموعة المبحوثة إلا فردا واحدا ينشط ضمنها في أنشطة موسمية دينية في الغالب، وما يثير التساؤل الذي يسترعي البحث في الموضوع هو عدم تسجيل الانتماء في أي من جمعيات أولياء التلاميذ طبعا بالنسبة للمتزوجين وكذلك جمعيات الأحياء بل حتى أنه لا أحد منهم انتمى إلى جمعية مهما كان نشاطها طوال حياته، وهذا في المجمل سلوك يدل على ضعف الوعي الجمعي لهؤلاء، وحتى على المستوى المهني سجلنا نفورا واضحا من الجمعيات النقابية التي ينعتونها بالملاذات المصلحية والوسيلية لقضاء مآرب خاصة لا تتماشى مع الصالح العام بل هي مطالب فتوية على حد تصريحاتهم، وهو تبرير يدل على ضعف موقف هاته النخبة المنسحبة

من أداء أدوارها والتنازل عنها لأشخاص هم دونهم مستوى، وهو أمر يمكن ارجاعه إلى أن استملاكهم للمجال التقني والتحكم فيه يعطيهم مساحة أكبر وذلك لتأثيرهم بمنطقة ظل أكبر¹⁹؛ وبهذا فهم في غنى عن حقول أخرى على غرار النقابات لعدم حاجتهم إليها أو عدم فعاليتها العالية بالنسبة إليهم .

ثامنا: تقييم فعل التسيير العقلاني وتمثل الجانب الاجتماعي

رغم أن هؤلاء المبحوثين هم من يقوم بإدارة العمليات التسييرية إلا أنهم أبدوا تذمرا واضحا من طريقة التسيير المنتهجة مرجعين الأمر إلى أن العملية في مجملها فعل فردي إملائي من شخص المدير (أو بالأحرى المالك الفعلي فيما يخص مؤسسات القطاع الخاص)، هذا في حين -على حد قولهم- كان واجبا أن يكون فعلا تشاركيا، مؤكدين على ضرورة التعجيل بإحداث تغييرات جوهرية خاصة فيما يتعلق باستغلال المعارف النظرية لديهم وكذا خبراتهم الميدانية مما يصب في مصلحة مؤسساتهم وعدم إقصائهم، بفتح المجال للإبداع ومنحهم حيزا من المرونة والاستقلالية وكذا التغاضي عن تجريم أخطائهم التسييرية إلا إن ثبت تعدد الإخلال بواجباتهم المثبتة في توصيفات وظائفهم، كما نجد إجماعا على النقمة والتذمر من تردي الأوضاع المجتمعية، خاصة فيما يخص عامل الأمن، إذ صرح الجميع أن الواحد لم يصبح يأمن على نفسه وأسرته غوائل المجموعات الإجرامية لدرجة أن المرء لا يستطيع مفارقة بيته دون استخلاف حارس، كما لاحظ هؤلاء أن تردي الأوضاع الاقتصادية أدت إلى سوء أخلاق الناس، زيادة على تفاقم مظاهر التسلط، تصور يعبر عن رؤية تشاؤمية وسوداوية للمستقبل، معربين على أن هذه الظروف تحد من فعلهم التسييري العقلاني رغم وعيهم بالسياقات الحافة.

خاتمة:

بإمكان نخبنا التكنوقراطية الاضطلاع بدور الفاعل الاستراتيجي في الخروج من الوضع الراهن المأزوم؛ شريطة أن تلغى تلك المسافات والحواجز التي تحول بينها وبين وعيها الجيد للواقع؛ هذا الوعي الذي يمكن اتخاذه قاعدة صلبة للانطلاق، مع عدم امتناع الاستئناس ببعض التصورات سواء الخاصة منها أو المستعارة.

ومن خلال معايشة هذه الفئة خلص الباحثان إلى أن فعل التسيير العقلاني يتطلب بحثي شديد الارتباط بدراسة موضوع النخب خاصة التكنوقراطية منها، لأن هذه الأخيرة من المفروض أن تكون نتيجة للأول، رغم أن هذا التصور السببي غير متحقق في الواقع الجزائري فيما يبدو، ورغم أن الجزائر سارت في المسعى التقني منذ أمد غير قريب، وعليه يرى الباحثان ضرورة إبداء مهمة الإنقاذ السوسيو اقتصادي لهاته الفئة الفاعلة، اتخاذا من المعرفة الحقيقية الصادرة عن الميدان مرتكزا قصد تقديم صورة قريبة من الواقع، فإذا أردنا التلخيص فإننا نقول: إن محاولة استدراك الوضع يكون بالاستثمار في الموجود من نخب تكنوقراطية، هذا كي لا نسلك مسالك راديكالية تهدم كل ما تم بناؤه سلفا، وذلك بعقد ورشات تكوينية مركزة في الجوانب السوسيو اقتصادية لأخذ نظرة عن التقنيات الحديثة في أساليب الإدارة والتعرض بالتحليل لما أصاب مجتمعاتنا من أمراض اجتماعية قصد فهم الخلل ومن ثمة استلام المشعل والمبادرة بالتغيير؛ هذا كخطوة أولى استعجالية ثم الشروع في تنفيذ استراتيجية دوائية واسعة يشرف عليها خبراء من مختلف التخصصات؛ استراتيجية يتمخض عنها برنامج وطني لإعداد وتكوين النخب على غرار باقي دول العالم.

قائمة المراجع:

- ¹ . Monasta Attilio. (1993). Gramsci Antonio, *Prospects : The Quarterly Review of Comparative Education*, Unesco : International Bureau of Education, Paris, p :86.
- ² . Thomas GAY. (2004). *L'Indispensable de la Sociologie*, Studyrama, paris, France, p :132.
3. منير السعيداني، 2007 ، النخب الفكرية والسياسية، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ص:117.
4. الطاهر بن خرف الله، 2007 ، *النخبة الحاكمة في الجزائر 1962-1989 بين التصور الإيديولوجي والممارسة السوسيولوجية*، دار هومة، الجزائر، ص:11.
5. أحمد زردومي، 2009 ، *التكنوقراطيين والإدارة العمومية في الجزائر*، دار الفائز للنشر والطباعة، قسنطينة، الجزائر، ص:05.
6. حسين بن شارف، 2018 ، إنتاج الهوية السياسية والمهنية لدى الأنتلجنسيا بمؤسسات القطاع الوهراني، تمثلات وممارسات، *أطروحة دكتوراه*، جامعة وهران 2، الجزائر، ص:40.
- ⁷ - <https://bit.ly/3lZ0pC5>(2020/08/12)
- ⁸ . Gramsci Antonio. (1987). *Sélection from the prison notebooks*, New York, international Publishers, USA, p :207.
9. الطاهر لبيب، 2006 ، *سوسيولوجيا الثقافة*، المحمدية، دار الملتقى للنشر، تونس، ص:39.
- ¹⁰ . Perville Guy. (1984). *Les étudiants algériens de l'Université française, 1880-1962*, Editions du CNRS, Paris, p :39.
- ¹¹ . <https://cutt.us/Q0uMP>(2020/09/16)
12. ناصر جابي، 2008 ، *الجزائر الدولة والنخب*، منشورات دار الشهاب، الجزائر، ص:13.
13. علي الكنز، 1990 ، *حول الازمة 05 دراسات حول الجزائر والعالم العربي*، دار بوشان للنشر، الجزائر، ص:27.
14. عمار بلحسن، 1986 ، *أنتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر*، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ص:183.
- *- حسب الإحصائية المحصل عليها من مكتب التشغيل/ باتنة.
- ¹⁵ . Mustapha BOUTEFNOUCHET. (1982). *La famille algérienne – évolution et caractéristiques récentes*, SNED, Alger, 2^{ème} ed, p:38.
- ¹⁶ . Leboyer Olivia. (2012). *Elite et libéralisme*, CNRS éditions, paris, France, p :156.
- ¹⁷ . Pierre Bourdieu. (1974). *Sociologie de l'algérie*, collection que sais-je, puf, paris, p:176.
- ¹⁸ . <https://journals.openedition.org/insaniyat/16375#ftn2>(20/12/2020)

19. محمد المهدي بن عيسى، 2010، *علم الاجتماع التنظيم من سوسيولوجيا العمل إلى سوسيولوجيا المؤسسة*، امبالاست للطباعة والنشر، الجزائر، ص:38.